عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان
من العمل وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أو أبي سعيد بالشك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أشهد أن
لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله عبد بهما غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة وفيه عن أبي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال له يوما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة وفي المعنى
أحاديث كثيرة جدا وفي الصحيحين عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما لمعاذ ما من عبد يشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار وفيهما عن عتبان بن مالك عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال إن الله تعالى حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله فقالت طائفة من العلماء
إن كلمة التوحيد سبب مقتضي لدخول الجنة والنجاة من النار لكن له شروط وهو الإتيان بالفرائض
وموانع وهو إتيان الكبائر قال الحسن للفرزدق إن للا إله إلا الله شروطا فإياك وقذف المحصنة
وروي عنه أنه قال هذا العمود فأين الطنب يعني أن كلمة التوحيد لا إله إلا الله عمود الفسطاط
ولكن لا يثبت الفسطاط بدون أطنابه وهي فعل الواجبات وترك المحرمات وقيل للحسن إن ناسا
يقولون من قال لا إله إلا الله دخل الجنة فقال من قال لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة وقيل
لوهب بن منبه أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة فقال بلى ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان فإن جئت
بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح ويشبه هذا ما روي عن ابن عمر أنه سئل عن لا إله إلا الله هل
يضر معها عمل كما لا ينفع مع تركها عمل فقال ابن عمر عش ولا تغتر وقالت طائفة منهم الزهري
والضحاك كان هذا قبل الفرائض والحدود فمن هؤلاء من أشار إلى أنها نسخت ومنهم من قال
بل ضم إليها شروط وزيدت عليها وزيادة الشرط هل هي نسخ أم لا فيه خلاف بين الأصوليين
وفي هذا كله نظر فإن كثيرا من هذه الأحاديث متأخر بعد الفرائض والحدود وقال الثوري رحمه الله
نسختها الفرائض والحدود فيحتمل أن يكون مراده ما أراده هؤلاء ويحتمل أن يكون مراده وجوب
الفرائض والحدود تبين بها أن عقوبات الدنيا لا تسقط بمجرد الشهادتين فكذلك عقوبات الآخرة
ومثل هذا البيان وإزالة الإيهام كان السلف يسمونه نسخا وليس هو نسخا في الاصطلاح
المشهور وقالت طائفة هذه النصوص المطلقة جاءت مقيدة بأن يقولها بصدق وإخلاص
وصدقها وإخلاصها يمنع الإصرار معها على معصية وجاء من مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما إخلاصها قال أن تحجزك عما حرم الله وروي
ذلك مسندا من وجوه أخر ضعيفة ولعل الحسن أشار بكلامه الذي حكيناه عنه من قبل إلى
هذا وإن تحقق القلب بمعنى لا إله إلا الله وصدقه فيها وإخلاصه بها يقتضي أن يرسخ فيه
تأله الله وحده إجلالا وتعظيما وهيبة ومخافة ورجاء ومحبة وتوكلا ويمتلئ بذلك وينتفي عنه تأله ما سواه
من المخلوقين ومتى كان كذلك لم يبق فيه محبة ولا إرادة ولا طلب لغير ما يريده الله ويحبه ويطلبه
وينتفي بذلك من القلب جميع أهواء النفوس وإراداتها ووسواس الشيطان فمن أحب شيئا

واطاعه

وأطاعه وأحب عليه وأبغض عليه فهو إلهه فمن كان لا يحب ولا يبغض إلا لله ولا يعادي ولا يوالي
إلا لله فالله إلهه حقا ومن أحب لهواه وأبغض له ووالى عليه وعادى عليه فإلهه هواه
كما قال تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه قال الحسن هو الذي لا يهوى شيئا إلا ركبه وقال قتادة
هو الذي كلما هوي شيئا ركبه وكلما اشتهى شيئا أتاه لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى ويروى
من حديث أبي أمامة مرفوعا ما تحت أديم السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع وكذلك
من أطاع الشيطان في معصية الله فقد عبده كما قال تعالى ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا
تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين فتبين بهذه الآية أنه لا يصح تحقيق معنى لا إله إلا الله
إلا لمن لم يكن في قلبه إصرار على ما يكرهه الله ولا إرادة ما لا يحبه الله ومتى كان في العبد
شيء من ذلك كان نقصا في التوحيد وهو من نوع الشرك الخفي ولهذا قال مجاهد في قوله لا تشركوا به
شيئا قال لا تحبوا غيري وفي صحيح الحاكم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشرك
أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء وأدناه أن تحب على شيء من الجور أو تبغض على
شيء من العدل وهل الدين إلا الحب والبغض قال الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله وهذا نص في أن محبة ما يكرهه الله وبغض ما يحبه متابعة للهوى والموالاة على ذلك والمعاداة
فيه من الشرك الخفي وخرج ابن أبي الدنيا من حديث أنس مرفوعا لا تزال لا إله إلا الله تمنع العباد
من سخط الله ما لم يؤثروا دنياهم على صفقة دينهم فإذا آثروا صفقة دنياهم على دينهم ثم قالوا
لا إله إلا الله ردت عليهم وقال الله كذبتم فتبين بهذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم من قال أشهد
أن لا إله إلا الله صادقا من قلبه حرمه الله على النار وأن من دخل النار من أهل هذه الكلمة فلقلة
صدقه في قولها فإن هذه الكلمة إذا صدقت طهرت من القلب كل ما سوى الله فمن صدق في قوله لا إله إلا
الله لم يحب سواه ولم يرج إلا إياه ولم يخش إلا الله ولم يتوكل إلا على الله ولم يبق له بقية من إيثار
نفسه وهواه ومتى بقي في القلب أثر لسوى الله فمن قلة الصدق في قولها فإن نار جهنم تنطفئ
بنور إيمان الموحدين كما في الحديث المشهور تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ
نورك لهبي وفي مسند الإمام أحمد عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها
فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجا من بردهم فهذا ميراث
ورثه المؤمنون من حال إبراهيم عليه السلام فنار المحبة في قلوب المؤمنين تخاف منها نار جهنم قال
الجنيد قالت النار يا رب لو لم أطعك هل كنت تعذبني بشيء هو أشد مني قال نعم أسلط عليك
ناري الكبرى قالت وهل نار أعظم مني وأشد قال نعم نار محبتي أسكنها قلوب أوليائي
المؤمنين وفي هذا يقول بعضهم
ففي فؤاد المحب نار هوى … أحر نار الجحيم أبردها
ويشهد لهذا المعنى حديث معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل
الجنة فإن المحتضر لا يكاد يقولها إلا بإخلاص وتوبة وندم على ما مضى وعزم على أنه لا يعود
إلى مثله ورجح هذا القول الخطابي في مصنف له في التوحيد وهو حسن والله سبحانه أعلم